



مكاشفة



علمني نوري جعفر



توفيق التميمي
tawfiktemimy@yahoo.com

أتـــألم كثـيراً كما يتألم معـي الكثيرون ممـن تعلموا مـن كتابات نوري جعفر الموسـوعية التي لم تتوقف عند علم من العلوم الفسـلجية او النفسية او البلاغيـة او التراثية او التاريخية، بسـبب اغفال ذكره ونسـيان جهوده واغماط دوره الفكري والمعرفي وعدم اعطائه اسـتحقاقه من مساحة الاهتمام والاحتفاء من اراضيها الشعرية والسردية المترامية .

فنوري جعفر العالم البصري العراقي المتوفى في ليبيا 1994، هو اديب ومؤرخ وعالم متخصص في فسـلجة الدماغ وعلوم التربية، واغنى المكتبة العراقية بالعشـرات من المؤلفات والكتب في هذه الاختصاصـات المتنوعة وعلى فترات طويلة، وابدع بها جميعا، وتميز في مؤلفاته باسـلوبه الساحر الأخّـاذ الذي يمسـك بلباب القارئ منـذ الوهلة الاولى ويقـوده الى نهايات فصـوله رغم وعورة الموضـوعات العلمية التي يتناولها وصعوبتها لاسيما في موضوع فسـلجة الدماغ الذي تميز به وربطه بموضوعات ممتعة وطريفة ومثيرة، كموضـوع النبوغ والمواهب والذكاء والقدرات الذهنية واستخلاص صور التنوير من تراثنا العربي ورموزه الكبيرة كالجاحظ وابن سينا وغيرها من الموضوعات .

انفرد اسلوبه الادبي الثر بتقريب المادة العلمية الجافة بطبعها ونظرياتها الصـماء الى ذائقة الجمهور العريض، فله الفضل الاكبر عليّ وعلى اقراني في تحبب قراءة الكتب العلمية والتي كنت عازفاً عن قراءتها قبل معرفتي بعالم نـوري جعفر التأليفي، فما زالت القطيعة بين الأدباء والعلماء قائمة قامفي ثقافتنـا العراقية بخـلاف ثقافات عربية أخرى، ولهذا ينـدر ان نجد طبيبا اوعالمـا فيزيائيا او كيميائيا يشـتهر في عالم الادب كما في نماذج المبدعين الشاملين في مصر وبلاد الشام والمغرب العربي.

يمكـن ان يعد نوري جعفر أنموذجا مختلفـاً في الثقافة العراقية على هذا المستوى وفي صميم هذه الظاهرة، حيث انتج نوري جعفر كتبا علمية صرف مثل (الفكر تطوره وطبيعته) ومثل (الانسـان في ضوء فسلجة بافلوف بجزأيه)وغيرها من العناوين العلمية، ولكنه قدمها باسـلوب شـيق وممتع، ولغة جذابة اسـتقطبت قـراء الادب والعلم على السـواء .نوري جعفـر احد رموز التنوير التي قدمتها بعثات العهد الملكي المدني في بواكير النهضة العراقية، لكن طبيعة تقاليد الثقافة الشعرية وسيادة رموزها أعاقت بروز هذه القامات العملاقـة المعرفية كما اغفلت دورها في الثقافة العراقية، فمنذ غيابه 1994 وباسـتثناء جهود فردية قام بها د.نجاح كبة والباحث ياسر جاسم قاسم لم نر اسـتذكارا لهذا العالم الفذ او اضاءة معرفية تسـتحقها سلسلة المؤلفات الموسـوعية التي انجزها خلال عمره الجليـل، ولم تفكر عمادة كلية التربية في جامعاتنـا لاسـيما البصرة المولـود في بطائحها، ان تطلق اسـمه على احدى قاعاتها التدريسـية والتي درس فيها طالبا ودرّس فيها اسـتاذا، ولم تفكر مؤسسـة حكومية ولامدنية باعادة طبع أعماله، والتي بدأها منذ مطلع خمسـينيات القرن السـابق رغم ندرتها واهميتها، ولم يجهد احد الباحثين نفسه في تتبع المسيرة العلمية المكللة بالنجاح في أروقة الجامعات العربية والعالمية لعالمنا العراقي البصري نوري جعفر.

نوري جعفر نموذج المثقف العراقي الذي يعد من ضحايا الاستبداد الشعري العراقي، لأنه يشـتغل خارج تقاليد هذه المنظومة السردية الانشـائية فهو نموذج مغاير لها لانه من نمط المثقف المعرفي الكاشف التنويري ... الفاعل ...في وسطه الاجتماعي والاكاديمي وهذا ما يخالف اعراف القبائل الشعرية العراقية ومجموعاتها الارثوذكسية .